

## إمارة بني الورد اللخمي في بنزرت بتونس دراسة في أوضاعها السياسية

من سنة 449هـ - 554هـ/1056م - 1160م

د. أحلام صالح وهب

قسم التاريخ كلية التربية الأساسية جامعة الموصل

(قدم للنشر في 2014/3/24 ، قبل للنشر في 2104/5/29)

الملخص :

تعد هجرة القبائل العربية الموجودة في صعيد مصر ومنها القبائل الهلالية الى المغرب العربي سببا في انهيار دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي وانحسارها في حدود أسوار مدينة المهديّة، وتمكّن بعض الأشخاص المتنفذين في افريقية من السيطرة على المدن التي كانوا يحكمونها بعد ان زادت حالتها سوءاً، فكانت هذه الأوضاع سببا للاستيلاء على تلك المدن مثل بني مكّي في قابس وبني خرسان في تونس .  
وقد تمكّن أبو رجاء بن الورد اللخمي من تأسيس إمارة في بنزرت حكمها هو وبنيه حكماً وراثياً وأقام دعائم ملكه على هذه المدينة وكان لأسرة بني الورد اللخمي التي بقيت فيها القرن ونصف القرن الفضل في ترميم ونشر العمران والأمن والاستقرار في بنزرت والاستقلال التام إلى أن سقطت في قبضة الموحدين سنة (554هـ/1160م) لتصبح بنزرت ولاية موحديه .

### **Bani Abi AL\_Ward AL\_Lakhmi in Banzart; A study of its Political status (404-555)**

Dr.Ahlam Salih Wahab Al\_Modaris

*Department of History/College of Basic Education /Mosul University*

#### **Abstract**

The immigration of the Arab tribes now present in the south of Egypt especially the tribes of Bani Hilal, to the west of the Arab Land is a cause for the deterioration of bani Zen al-Sanhaji state. Its power was limited within the walls of al-Mahdiah city, and it became under the control of the Arab tribes specially the African cities suburabs. Some of the powerful people in Africa also fully controlled the cities they were ruling. This situation was the cause to control cites like Bni Maki in Qabis, Bani Khurasan in Tunisia.

Abi Al-Ward Al-Lakhmi was able to establish an emirate in Banzart ruled by him and his sons completely till it fall down in the hands of Al-Muwahideen (555.A.D 1160 A.L) so that Banzart became a Muwahideen state.

## التمهيد

واجه المغرب الأدنى في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حركة غزو حملت هذه الحركة في طياتها الكثير من ألوان الدمار والحرب التي عرفت في التاريخ الإسلامي باسم الهجرة الهلالية والقاعدة التي انطلقت منها جموع الهلاليين فهي في عهد المستنصر بالله الذي تولى الحكم بمصر سنة 437هـ \_ 1045م<sup>(1)</sup>، وكان لهذا الغزو طابع خاص اذ لم يأخذ شكل جيش منظم يأتمر بقيادة موحدة تسيّر وفق خطة مرسومة وإنما جموع مخربة خرجت لتحقيق اهدافها في النهب والسلب فمنذ أن وطأت أقدامهم ارض المغرب اشاعوا الدمار في المنطقة نتيجة تخريب المدن وحرق المزارع في هجمات متلاحقة ألفت التقدّم العمراني الذي كانت تنعم به افريقية يقول ابن خلدون ((واضطرب أمر افريقية وخرب عمرانها وفسدت سابلتها))<sup>(2)</sup>، وكانت هذه الجموع الغازية التي تتكون من بطون بني هلال\* تسكن الجزيرة العربية خاصة منطقة نجد والحجاز بينما كانت بنو سليم\*\* تسكن الأماكن القريبة من المدينة المنورة كما سكن بنو هلال في جبل غزوان\*\*\* عند الطائف\*\*\*\*، ولكن سكنهم لم يكن بشكل مستمر فهم قبائل بدوية اعتادت الترحال وتربية الحيوانات الأمر الذي جعلهم كثيرون التنقل والترحال إلى أطراف العراق والشام إضافة إلى

إغارتهم على هذه المناطق<sup>(3)</sup>، وكان هؤلاء الأعراب قد تحالفوا مع القرامطة في عمان والبحرين<sup>(4)</sup> وبامتداد نفوذ القرامطة إلى بلاد الشام جعلهم مواجهي للدولة الفاطمية<sup>(5)</sup> وتمكن القرامطة من مد نفوذهم والسيطرة على أنصارهم من قبائل بني هلال وسليم ودفعهم إلى الهجرة إلى مصر وإسكانهم في الجهات الشرقية لنهر النيل في صعيد مصر<sup>(6)</sup> وكان استقرارهم في مصر سبباً لكثير من الاضطرابات وقد رأى الحكام الفاطميون ضرورة التخلص منهم خاصة وان الدولة الفاطمية كانت تعاني من أزمات اقتصادية وصلت إلى حد المجاعة في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي<sup>(7)</sup> وتخفيفاً للآزمة التي تعيشها مصر فقد عمل الفاطميون على تشجيع هؤلاء بالهجرة إلى المغرب وقد أثرت هذه الأزمة في القبائل الهلالية ودعتها إلى التفكير في البحث عن مناطق استقرار أفضل فاخترت الحضر ليكون منقذاً لها<sup>(8)</sup>، ولاسيما أن جماعات من عرب بني هلال قد استقرت منذ مدة طويلة في برقة\*\*\*\* وهم بنو قره<sup>(9)</sup>.

وكانت الحالة السياسية في المغرب أبان منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي عاملاً في هجرة بني هلال فقد تدهورت العلاقات بين بني الزيري من قبيلة صنهاجة الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب وبين السلطة

وأغدق على أفراد قبائلهم الهدايا ثانياً وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك ((وارضخ إلى أمرائهم في العطاء وأوصل عامتهم بعير ودينار . . .))<sup>(15)</sup> فاندفعت هذه القبائل عبر نهر النيل ونزلت منطقة برقة حيث المراعي الخصبة من برقة استمرت قبائل بني هلال بالتدفق إلى أنحاء المغرب والصحراء وكانت القبائل الهلالية عند زحفها إلى افريقية وصفت كالجراد لا يرون بشيء إلا أشاعوا فيه الخراب والنهب وذلك سنة 443هـ/1051م وهنا اصطدمت القبائل الهلالية بالسلطة الزيرية بقيادة المعز بن باديس ودارت بينهم معارك كثيرة منها معركة العين كان نتيجتها سقوط القيروان عاصمة الزيري وتم السيطرة على مدن أخرى مثل تونس وبونة ورغم تغلب المعز إلا انه خسر المعركة ويعود السبب في ذلك إلى تحالف عرب افريقية المتواجدين منذ الفتح الإسلامي ووقوفهم إلى جانب عرب بني هلال بالإضافة إلى خيانة كل من زناتة وصنهاجة للمعز بن باديس وكان من نتيجة هذه المعركة هروب المعز تاركاً وراءه آلاف القتلى بالإضافة إلى استيلاء بني هلال على المعسكر واسر أعداد كبيرة من جيشه<sup>(16)</sup>.

ويمكن القول إن الفوضى السياسية التي عمت المغرب بعد سقوط الحكم الزيري فتحت باب أفريقية لبني هلال وأصبحت قواتهم تهدد القيروان فقد استطاع العرب الهلاليين

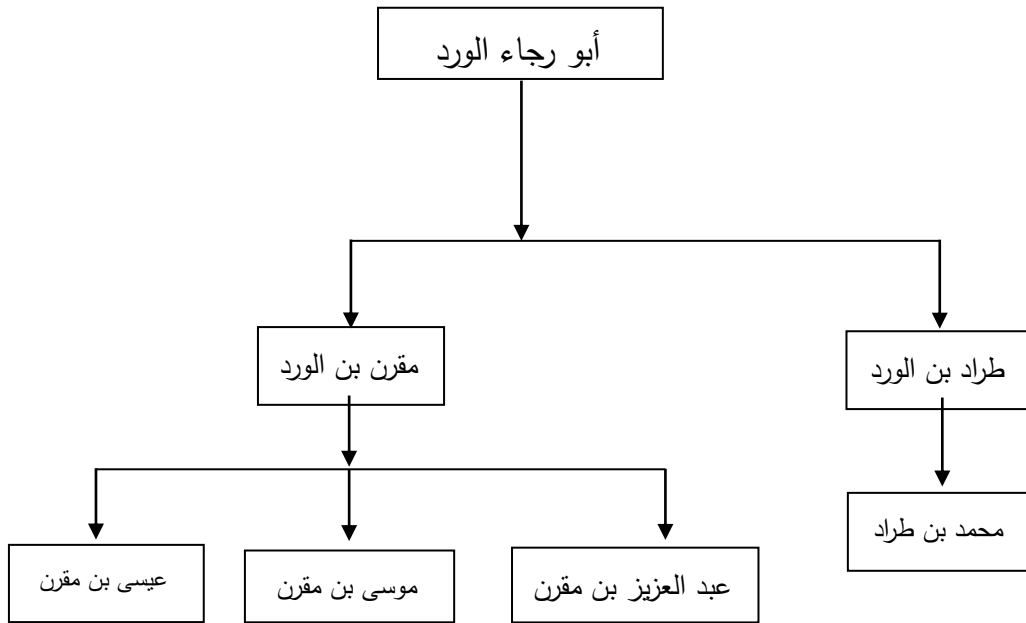
الفاطمية في مصر عندما حاول بنو زيري الاستقلال في حكم المغرب فقد أعلن الأمير المعز ابن باديس الصنهاجي سنة 406هـ/1015م، استقلاله التام عن الدولة الفاطمية سنة 437هـ/1045م<sup>(10)</sup>، فضلاً عن انه أعلن ولاءه للخلافة العباسية، وأشار ابن خلدون إلى ذلك قائلاً ((وقطع أسماءهم من الطراز والرايات وبايع القائم أبا جعفر بن القادر من خلفاء بني العباس ودعا له على منابر سنة 437هـ وبعث بالبيعة إلى بغداد))<sup>(11)</sup>، فضلاً عن إزالة أسمائهم من السكة سنة 441هـ - 1049م وقش فيها ((ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين))

وحال وصول هذا الخبر إلى مسامع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله معد (467هـ - 487هـ/1036م - 1094م) اجتمع مع وزيره أبي محمد الحسن بن علي اليازوردي فعمل على إصلاح القبائل الهلالية المتصارعة وأغرى رؤسائها بالعطايا ثم قرروا الاعتماد على قبائل من الاثيخ<sup>(12)</sup> وزغبة<sup>(13)</sup> ورياح<sup>(14)</sup> وغيرها من القبائل العربية ودفعها لخوض حرب ضد صنهاجة متمثلة بأميرهم المعز بن باديس الصنهاجي وجعل هذه القبائل أنصار الدولة الفاطمية في المغرب العربي ثم إبعادها عن صعيد مصر لذلك عمل الخليفة الفاطمي على إغراء شيوخ بني هلال بملك افريقية أولاً

تأثيرهم السياسي حتى وصل إلى المغرب الأوسط وتجزأت دولة المعز بن باديس وتحول إلى المهديّة سنة 449هـ ونجد إن أمراء بني الحماد يدفعون خطرهم بإعطائهم غلات البلاد وهو مقدار كبير وكانوا يقتسمون ثروات البلاد ويشير المراكشي بقوله ((وسار هؤلاء العرب حتى نزلوا على المنصور بن المنتصر فصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها وغير ذلك فأقاموا على ذلك باقي أيامه وأيام ابنه الملقب بالعزير))<sup>(20)</sup>، ولا شك ان هذا الموقف من جانب بني حماد يعني عدم قدرتهم على صد هذه القبائل والوقوف ضدها حتى قامت الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى سنة 541هـ وجدنا ان عبد المؤمن بن علي يخوض الكثير من المعارك ضد العرب الهلاليين باعتبارهم يشكلون خطراً على الدولة الموحدية التي امتدت حتى طرابلس شرقياً فبعد استيلاء الموحدين على بجاية سنة 547هـ/1152م دخلوا معهم بمعركة انتهت بهزيمتهم ونقل ابنائهم ونسائهم الى مراكش وعاملهم معاملة حسنة دفعت الكثير من العرب الفارين للحاق بأسرهم في العاصمة ويشير الى ذلك ابن صاحب الصلاة قائلاً ((وقد استاق الخليفة عبد المؤمن بن علي في اتباعه من العرب من رياح وبني جشم وبني عدي من بني هلال وقبائلهم يضيق بهم الفضلاء عـدد الحصى))<sup>(21)</sup>.

تمزيق المغرب إلى أقطاعات ومناطق تتحكم فيها القبائل الغازية بعد أن اقتسمت المناطق فيما بينها وانتهيار الحكم الزيري بعد الانتصار عليهم في معركة حيدران<sup>(17)</sup>. وانتصر العرب الهلاليين انتصاراً حاسماً ووصف ابن خلدون وضع البلاد قائلاً ((ثم نازلوه بالقيروان وطال عليه أمر الحصار وهلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب وعبثهم وفر أهل القيروان إلى تونس وسوسة وعم النهب والعبث في البلاد))<sup>(18)</sup>، ثم أصبح العرب يشكلون قوة عسكرية لها خطرهما تسعى وراء مصلحه وأهدافها ووجدنا إن القبائل العربية تتحالف مع أكثر من جهة لتحقيق أطماعها فهم يقاثلون في صف تميم بن المعز بن باديس الذي خلف ولده في حكم ما تبقى من الدولة الزيرية وتارة أخرى يجارون ضد احد الخارجين على تميم وهو حمد بن ملك الذي استعان بدوره بالعرب الهلالية ضد تميم بن المعز ويشير ابن الأثير قائلاً ((في هذه السنة 455هـ خالف حمد بن ملك صاحب مدينة صفاقس بافريقية على تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار إلى المهديّة فسمع تميم الخير وسار إليه ومعه طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل إلى سلقسطة والتقى الفريقان وكانت بينها حرب شديدة فانهمز حمو ومن معه قتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقة رجاله وعاد تميم مضطراً منصوراً))<sup>(19)</sup>، وامتد

## شجرة نسب بنو الورد اللخمي



## المبحث الأول

### نشوء إمارة بني الورد اللخمي

#### أولاً - أصل الإمارة ومرحلة التأسيس:

العربي الاسلامي لبلاد المغرب والاندلس ، فعندما تغلب بنو هلال على القيروان ومنهم قبائل رياح وانسحاب المعز بن باديس إلى مدينة المهديّة<sup>(24)</sup> وضعف نفوذ الدولة الصنهاجية وعدم قدرتها على مواجهه الهجرة الهلالية فعمت الفوضى والخراب في عموم البلاد وقد أشار ابن خلدون قائلاً ((واضطرت افريقية ناراً...))<sup>(25)</sup> ونتيجة إلى سقوط افريقية بيد بني هلال قسمت هذه البلاد على شكل ولايات وامتناع الكثير من الولاة السابقين على طاعة المعز بن باديس فاستقلوا في الولايات التي يحكمونها وغيروا ولائهم من الدولة

ترجع أصول الأسرة المؤسسة لإمارة بني الورد إلى رجل يمني من لحم<sup>(22)</sup> وينسب إلى بنو الورد من ذري عايل بن افيان ابن زرعة بن الهيسع بن حمير بن سبأ وهو أول من تسمى بالورد من قبائل اليمن<sup>(23)</sup>، وهم يتسمون بالمعرفة ومازالت مساكنهم في مواطن آل افيان بن حمير شمال غرب صنعاء وكان ابو الورد اللخمي من الذين ساهموا في الفتح

وقدموه على أنفسهم فحاطهم من العرب الهلاليين ودافع عن نواحيهم<sup>(30)</sup> .

وقد قام الأهالي بتفويض شؤونهم إليه ليرد عنهم خطر بني رياح ومن معهم ففعل وكان ذلك مقابل ضريبة مالية<sup>(31)</sup> تدفع لهؤلاء الاعراب من بني هلال وكان منهم بنو مقدم من الأثيج<sup>(32)</sup> ودهمان من بني علي<sup>(33)</sup> إحدى بطون رياح المتغلبون على ضاحيتهم فعمل على مهادتهم على الإتاوة وكف عنهم عاديتهم<sup>(34)</sup> وقد استمر حكم بني الورد الذي دام القرن ونصف القرن من سنة 404هـ - 555هـ/1013م - 1160م .

ووصف أبو الورد بأنه حسن السيرة وكان لا يقطع أمرا إلا بموافقة أهل الشورى من المدينة ((فقام بأمرهم وشاركهم في أمره وأحسن السيرة إليهم . . .))<sup>(35)</sup>، كما اتسم عهدهم بنشر الأمن والاستقرار وأصبحت المدينة في مأمن من غارات أهل البادية وتمكنت بفضل حصونها المتينة من صد الهجمات التي كانت موجه إليها<sup>(36)</sup>، وبقي أبو رجاء الورد حاكماً عليها حتى وفاته وخلفه أبناءه من بعده في الحكم .

### ثانياً - الموطن:

قائمة إمارة بني الورد في مدينة بنزرت التي تقع إلى أقصى الشمال على الضفاف الجنوبية للبحر المتوسط مما جعلها

الصنهاجية إلى دولة بني حماد في القلعة عاصمة دولتهم<sup>(26)</sup> وعندما استطاع العرب الهلاليين التغلب على المعز بن باديس وتقويضه من القيروان إلى المهديّة اضطرت نار الفتنة وتغلبهم على المعز بن باديس وانضم إليهم جماعة من الاعراب الساكنين بقلعة مرسينا من جبل شعيب<sup>(27)</sup> إذ كان يضربون هؤلاء على النواحي بجهة بنزرت ويفرضون على أهلها الإتاوات<sup>(28)</sup> فطال أمرهم ويأس أهل بنزرت من حسم دائهم والتخلص منهم، فقد كان في بنزرت فريقان أحدهما من لحم وهم قوم الورد<sup>(29)</sup> والذي كان لها نفوذ بارز في بنزرت وبقي أهلها في حالة من الفوضى واختلّف أمرهم لذلك بعثوا إلى الورد اللخمي أن يقوم بأمرهم خاصة وانه كان من الشخصيات البارزة فيها وكان سبب إرسالهم إليه هو الوضع السيئ في عموم افريقية عامة وبن زرت خاصة إن أعراب بني هلال كانوا ذا صولة وجولة وقاطعوا الطرق والسابلة ولا يمكن حكم البلاد إلا بوجود قوة كبيرة يستند عليها في الحكم سواء كانت هذه القوة داخلية أم قوة خارجية واغلب الضن أن حكم المدينة قد أنيط إلى مجلس شورى من سكان المدينة أنفسهم وقد اتفق أعضاء ذلك المجلس على أن يقوم أبي الورد اللخمي بأمرهم فبعثوا إليه فوصل إلى بنزرت واجتمعوا عليه وادخلوه حصن المدينة

تحتل مكانة إستراتيجية بارزة مما أهلتها إلى أن تكون قطباً اقتصادياً هاماً<sup>(37)</sup> وبينها وبين تونس يومان وفيها آثار للأول وسور قديم من الصخر وبها نهر كبير يصب في البحر وبالقرب منها بحيرة كبيرة وفيها حوت ومنها يحمل إلى جميع بلاد افريقية<sup>(38)</sup> وعلى مقربة منها فيها بحيرتان إلى جهة البر احدهما حلوة والأخرى مالحة من غير ان يدخلها ماء البحر تصب كل منهما بالأخرى تميزت بنزرت بكثرة عمارتها فهي مدينة تونسية مميزة تأسست سنة 1200 ق.م واشتهرت على مر العصور بأسماء عديدة منها هيبو أكرا وكانت مركزاً تابعاً لاوتيكا وقد غزاها القائد الصقلي أغا طوكل سنة 309 قبل الميلاد في حملته على قرطاجنة، ولما انتصرت روما هدمت هيبو والحق تراثها باوتيكا وأطلق عليها هيبوبارتيوس ولما تدهور حكم الرومان احتل زعيم الفندال هيبو سنة 349هـ ولم يدم حكمه طويلاً إذ احتلت من قبل بيزنطة سنة 534م<sup>(39)</sup>، إلى أن فتحها العرب المسلمون في عهد القائد معاوية بن حديج الذي كان في جيش عبد الملك بن مروان سنة 41هـ/661م وسماها القائد حسان بن النعمان الغساني سنة 44هـ/698م بنزرت، وأقام فيها رباطاً لصد الهجمات المفاجئة من الروم وأصبحت منذ ذلك الوقت مدينة إسلامية<sup>(40)</sup>. وكان لموقع بنزرت الاستراتيجي جعلها ملتقى

لمختلف الحضارات التي توالى على حوض البحر المتوسط مما ترك فيها آثارا عمرانية وعسكرية تسخر إلى اليوم<sup>(41)</sup>.

## المبحث الثاني

### الأوضاع الداخلية لإمارة بني الورد اللخمي

عندما تسلم أبو رجاء الورد اللخمي زمام الأمور في بنزرت سنة 404هـ/1013م<sup>(42)</sup>، عمل على اتخاذ مقراً خاصاً لإدارة شؤون البلاد وإقامة دعائم ملكه، كما عمل على ترميم المعالم الدينية ومنها جامع القصبية الذي شيد أبان الفتح الإسلامي وارجع المؤرخون إعادة تأسيسه إلى أبو الورد الذي حكم بنزرت مدة الأزمنة الهلالية وكان هذا الجامع يلقي أهمية خاصة من بني الورد<sup>(43)</sup>، كما استطاع أن ينشر الأمن والاستقرار فيها ومن المشاكل التي واجهته حكمه هي تعديات أهل البادية على الممتلكات العامة والخاصة داخل بنزرت وغدة المدينة في عهده في مآمن من غارات أهل البادية وتمكنت بفعل حصونها المتينة من صد الغارات والهجمات التي كانت موجه إليها<sup>(44)</sup>، ودفع الأموال لهم مقابل دفع أذاهم عن أهالي بنزرت كما انه عمل على إعادة تعمير البلاد بعدما تعرضت له أثناء الغزو الهلالي من خراب ودمار فعمل على إعادة ترميم المعالم الدينية وشق الطرقات ونشر العمران<sup>(45)</sup>، فانعكس هذا الاستقرار السياسي على الحياة الاجتماعية

وقد سار على سنن أبيه وجدته<sup>(51)</sup>، في نشر الأمن والاستقرار في المنطقة ومن قوتها بحيث كان الفارين من مناطقهم يلجئون إليه للاحتماء به كما فعل حاكم خرسان إسماعيل بن عبد الحق الذي قتل أحمد بن عبد العزيز ونفى ولده أبو بكر إلى بنزرت فاستقر فيها خوفاً على نفسه<sup>(52)</sup> ثم هلك عبد العزيز ثم تولى من بعده موسى بن مقرن الذي سار أيضاً على سنن أبيه في نشر الأمن والاستقرار وازدهار المدينة فاستمر حكمه أربع سنين ولكنه هلك فتولى بعده أخوه عيسى بن مقرن بن طراد ويبدو إن المصادر التاريخية قد أغفلت عن أعمال هؤلاء الولاة بل حتى أهملت سنين حكمهم ووفاتهم وسبب ذلك يعود لكونهم ولاية تابعيين لدولة مركزية هي الدولة الصنهاجية وان الأنظار تتجه إلى الأحداث في مركز الدولة وليس إلى الأطراف ولم تشر أيضاً إلى مدة حكمهم كاملاً وبقيت بنزرت على هذا الاضطراب التي كانت فيه في الفترة الثانية من حكمها ويتضح من ذلك ان بنزرت عاشت فترتين من الحكم اتسمت الأولى بالاستقرار لمدة قرن واتسمت الثانية بالاضطرابات والصراعات على الحكم الذي اتضح من خلال تعاقب الحكام من بني الورد على حكم بنزرت في فترات قصيرة وهلاكهم في ظروف غامضة ولم تشر المصادر التاريخية إلى أسباب ذلك إلى أن تعرضت بنزرت في حكم عيسى بن

والاقتصادية فانتشرت الحوانيت وازدهرت التجارة<sup>(46)</sup>، واهتم بالأسطول التجاري والبحري وقد أشاد الإدريسي في هذه الفترة بمعمار المدينة ومنشأتها بقوله ((إنها مدينة صغيرة عامرة بأهلها وبها مرافق وأسواق قائمة بذاتها . . .))<sup>(47)</sup>، كما عمل أبو الورد اللخمي على حماية بنزرت من التعديلات الخارجية ومنها أهل البادية فعمل على سياسة تقوم على المدارات فاتفق بهم وصالحهم على دفع ضريبة من المال (الإتاوة) مقابل أن يكفوا أذاهم عن مدينة بنزرت وعلى الممتلكات الخاصة<sup>(48)</sup>، وعاشت المدينة في عصره أزهى عصورها من التقدم والازدهار ولكنه لم يدم فقد توفي وخلفه في حكم إمارة بني الورد ولده طراد ابن الورد وكان شهماً وكانت العرب تنابه<sup>(49)</sup>، لقوته وحصونه المنيعه ولكنه لم يدم طويلاً فقد هلك بعد فترة قصيرة حوالي سنة 500هـ/1106م وخلفه في الحكم ابنه محمد بن طراد ولكنه لم يستمر طويلاً في الحكم فقد قتله عمه مقرن بعد شهر من ولايته في مسامرة وقام بأمر بنزرت وسمي بالأمير وحمل حوزته من العرب واصطنع الرجال لحمايته وعظم سلطانه بين العرب وقصده الشعراء وامتدحوه فوصلهم وأجزى لهم العطايا<sup>(50)</sup>، ولكنه لم يستمر طويلاً فقد هلك ولم تشر المصادر التاريخية إلى الأسباب التي أدت إلى موته، فتولى من بعده ابنه عبد العزيز ومدة حكمه عشرة سنين



لم العطايا<sup>(57)</sup>، ويعود لهم الفضل في إعادة تعمير البلاد والسهر على تحقيق الأمن والاستقرار ونشر تعاليم الإسلام فقد عملوا على إعادة ترميم المعالم الدينية ومنها جامع القصبه الذي شيد أبان الفتح الإسلامي ويقع على شاطئ المرسى القديم على الطرف الشمالي لحي القصبه وجاءت تسميته اقتراناً بالحي الذي يوجد فيه والتي تعود للحصون والقلاع البيزنطية وقد وجد هذا الجامع بجانب برج سيدي الحثي البيزنطي والذي حولته الجيوش الإسلامية إلى رباط فيما بعد<sup>(58)</sup> وقد ارجع بعض المؤرخين إعادة تأسيس الجامع إلى بني الورد الذين حكموا بنزرت مدة الأزمة الهلالية حتى فتح المهدي وما زال الجامع محافظ على وظيفته الأصلية ((جامع خطبة الجمعة)) وكان هذا الجامع يلقى عناية خاصة من السلطات في بنزرت<sup>(59)</sup>، كما كان لهذه الأسرة الفضل في ترميم وشط الطرقات ونشر العمران وبناء الحمامات على الطراز العربي الأصيل بالإضافة إلى نشر الأمن والاستقرار السياسي وأدى ذلك إلى انتشار الحوانيت في البلاد وازدهار التجارة ويفيدنا ابن حنبل بقوله ((إن بنزرت كانت في نهاية القرن العاشر الميلادي عاصمة الإقليم ولها جزر بحري يدعى اسطفورة وإنها تألفت في ظل أسرة بني الورد حين أعادوا إليها أمجادها الموروثة))<sup>(60)</sup>، ويقول البكري ((إنها كانت محاطة بسور عظيم

مقرن سنة 555هـ/1160م إلى هجمات الموحدين وان عيسى قد دخل في طاعة عبد المؤمن بن علي الموحي الذي عينه أميراً على بنزرت وعين له مستشاراً يعينه ويراقبه وبذلك صارت بنزرت تابعة للحكم الموحي سنة 555هـ/1160م<sup>(53)</sup>، ويبدو أن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً فقد تعرضت بنزرت لهجوم قاده احد المرادين وهو يحيى بن غنيمة مستغلاً الفراغ السياسي بعد وفاة عبد المؤمن ليستولي على العديد من الثغور ومنها بنزرت فأراد أن يستخدمها مرفأً لأسطول قرصنة كان قد حشده بجزر البليار في بلاد الأندلس<sup>(54)</sup> وبعد ذلك لم تشر المصادر التاريخية شيئاً عن بنزرت سوى أن ابن خلدون الذي أشار إلى انه بعد هذا التاريخ ((قد اختفى أثرهم))<sup>(55)</sup>.

### المبحث الثالث

#### أولاً - الدور الحضاري للإمارة بني الورد اللخمي:

احتلت أسرة بني الورد اللخمي مكانة علمية مرموقة لما كان لأفرادها من اهتمامات علمية خاصة في المجال الأدبي والديني<sup>(56)</sup>، فقد ورثوا العلم عن كبارهم لذلك تمتعت بنزرت في عهدهم بنشاط علمي لحبهم للعلم والعلماء فقد كان في عهد محمد بن طراد اللخمي الذي قام بأمر بنزرت وتلقب بالأمير فد اهتم بالشعر والشعراء فامتدحوه فوصلهم وأجزى

الاعداء المتربصين بهم الذين سيطروا على الساحل الشمالي لاقريقية فأصبحوا يهددون تونس والسيطرة عليها والخوف من دولة بني حماد في بجاية لذلك اقتضى الامر تهدئة النفوس والاتحاد بين مختلف الشرائح في بنزرت وعملوا على ضبط الامور في عهد موسى بن مقرن الذي نهض بأعباء الحكم ودفع بالاحطار المحيطة بها فقام بالاستعانة بقومه من العرب الذين باعوه على السمع والطاعة الا ان حكمه لم يستمر طويلاً وبظهور دولة الموحدين وسيطرة جنودها على مدينة بجاية وأعمال بني حماد والانتصار على عرب بني الهلال في معركة سَطيف بقيادة عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين<sup>(64)</sup>، فأصبحوا على أبواب تونس وكان قد سبق ذلك ذهاب وفد من تونس إليه يصفون له تعديات الأعراب من أهل البادية في عموم ولاية افريقية ويشير ابن الأثير بقوله أنه ((دمعت عيناه واطرق ثم رفع رأسه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وأمر بإنزالهم وأطلق لهم ألف دينار))<sup>(65)</sup>، ويبدو انه قد تم تشكيل وفد من وجهاء مدينة بنزرت لمقابلة الخليفة عبد المؤمن والطلب منه منحهم الأمان لهم وبلدينتهم وان يسلموا له المدينة صلحاً، وقد وافق الخليفة على طلبهم ومنحهم الأمان على أنفسهم وأموالهم جزاء مبادرتهم إلى هذه الطاعة ومكافأة لهم عين على بنزرت أميراً من بني الورد عليهم كما عين له

له باب ومسجد ودكاكين وان لها تجارة مزدهرة ورباطاً يقيها غزوات الفرنجة وميناء يدعى مرسى القبة))<sup>(61)</sup>، وكان لموقع بنزرت الاستراتيجي جعلها ملتمى لمختلف الحضارات التي توالى عليها مما ترك فيها آثار عمرانية وعسكرية تسخر إلى اليوم وقد أشاد الإدريسي في منشأاتها بقوله ((أنها مدينة صغيرة عامرة بأهلها وبها مرافق وأسواق قائمة بذاتها))<sup>(62)</sup>، كما كان لهذه الإمارة الدور الكبير في نشر الإسلام ومن هنا يتضح دورهم في إعادة ترميم المعالم الدينية لذلك أثرت شخصية أبو الورد كثيراً في نفوس أهل بنزرت فرأوا فيه بأنه خير من يمثل الإسلام ومبادئه وجعله قدوة حسنة لهم وكان الاستقرار السياسي والأمن في البلاد أثره في نفوس أهلها فأدى ذلك إلى نشر الإسلام واللغة العربية وان الأسباب التي أدت إلى نشر الإسلام هي الأسباب التي أدت إلى نشر اللغة العربية بين سكانها<sup>(63)</sup>.

## ثانياً - ظهور الموحدين وسقوط إمارة بني الورد اللخمي:

رغم الاستقرار الذي عاشته بنزرت في ظل حكم بني الورد اللخمي فقد تأثرت بالحروب التي اندلعت داخل مدينة تونس والفراغ السياسي الذي حصل فيها مما أدى الى تدخل

مجموعة من الأمور كان من أبرزها تمزق دولة بني زيزي بن مناد الصنهاجي إلى مجموعة من الإمارات المستقلة استقلالاً تاماً وكان ابرز هذه الإمارات إمارة بني مكّي في قابس وإمارة القيروان ودويلة بني زيزي في المهديّة وإمارة بني أبي الورد اللخمي في بنزرت بتونس وإمارات أخرى فضلاً عن انعدام الأمن خاصة في ريف تونس وبوايها الأمر الذي أدى إلى تراجع الإنتاج الزراعي فيها لهروب الفلاحين إلى مراكز المدينة طلباً للأمن والأمان مما أدى إلى تغيير الأعمال المعاشية لدى السكان فاتجهوا نحو البحر وقد عانت إمارة بني الورد اللخمي كثيراً من الدول المجاورة لها خاصة دولة بني باديس في الشرق والدولة الحمادية في الغرب وكانت دائماً تعقد الاتفاقيات معها لصد الهجمات وتدفع الإتاوات في سبيل تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة كما تعرضت إمارة بين الورد لأطماع دولة صقلية ولكن كانت عصية عليهم بسبب مناعة أسوارها فضلاً عن اهتمام بني الورد بالأسطول البحري والدفاع عن أراضيها ونشر الأمن والاستقرار في المنطقة إلا إن قوة بني الورد لم تتمكن من الصمود بوجه الاجتياح الموحدى سنة 555هـ/\_\_\_\_\_م1160.

مستشاراً يعينه ويراقبه في الوقت نفسه وبذلك صارت مدينة بنزرت تابعة للحكم الموحدى سنة 555هـ/1160م<sup>(66)</sup>، وأخذت تنعم بالأمن والاستقرار ولكن هذا لم يدم طويلاً فعدا توفى عبد المؤمن بن علي ومجىء ابنه من بعده ترك فراغاً سياسياً اغتنمه احد المرادين وهو يحيى بن غنيمه المرادى مستغلاً هذا الفراغ السياسى ليستولى على بنزرت وأراد أن يستخدمها مرفأً للأسطول قرصنة كان قد حشده بجزر البليار في بلاد الأندلس<sup>(67)</sup>، وبذلك انتهى دور هذه الإمارة التي استمرت فترة طويلة رغم الظروف الداخلية التي واجهتها من تنازع أفراد البيت الحاكم على السلطة إضافة إلى الأخطار الخارجية المتمثلة بالغزو النورماندى إلا إنها استطاعة الصمود والبقاء لفترة طويلة وممارسة دورها السياسى والحضارى في المغرب العربى وبوجود الموحدىين ينتهى دور هذه الإمارة سياسياً في بنزرت وعلى حد قول ابن خلدون انه بعد هذا التاريخ ((أختفى أثرهم))<sup>(68)</sup>.

### الخاتمة

تعد هجرة بني هلال حداً فاصلاً بين عصر الحكومات المركزية المتدنة وبين عصر الفوضى والتشتت وحكومات المدن في عموم افريقية فنتج عن هذه الهجرة هجرة بني هلال

## الهوامش:

- (1) ابن ابي زرع، علي ابن محمد، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972، ص75.
- (2) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي بن خلدون (ت808هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر، دار الكتب العلمية، بيروت 2002، ج6، ص16.
- \* بني هلال: نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويرتقي نسبة إلى معد بن عدنان.
- \*\* بني سليم: هم متسع من بطون مظر وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس، ابن خلدون، العبر، ج6 ص71.
- \*\*\* جبل غزوان: وهو الجبل الذي تقع عليه مدينة الطائف، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد المقدسي (ت380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه محمد أمين الغناوي، دار الكتب العلمية ط1، بيروت 2002م، ص88.
- \*\*\*\* الطائف: مدينة صغيرة شامية الهواء بارة الماء، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص88.
- (3) ابن خلدون، العبر، ج6 ص70.
- (4) القرامطة: فرقة من فرق الإسماعيلية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، محمد احمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية (مصر د.ت)، ص89.
- (5) ابن خلدون العبر، ج6 ص71.
- (6) الصعيد: إقليم في جنوب مصر فيه العديد من المدن، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص164.
- (7) تقي الدين احمد بني علي المقرئ (ت845هـ)، إغاثة الأمة في كشف الغمة، تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة 1957م، ص26.
- (8) ابن خلدون العبر، ج6، ص38.
- \*\*\*\*\* هي الجزء الشرقي من ليبيا الحالية وقد أطلق الاسم للمرة الأولى عام 644 ميلادية نسبة لعاصمة الإقليم آنذاك باركا، شكلت برقة بعد دخول العرب محطة للجيوش الإسلامية وللمسافرين في الطريق إلى المغرب الكبير والأندلس. عبدالعزيز طريح شرف، "جغرافيا ليبيا"، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1971، ص232-233.
- (9) علي بن محب الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة 1954م، ص42.
- (10) ابن خلدون، العبر، ج2 ص29.
- (11) ابن خلدون، المصدر السابق، ج2 ص30.
- (12) أبو العباس احمد بن محمد بن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت 1967م، ج1، ص228.

- (I3) الأبيح: نسبة إلى الأبيح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص237 .
- (I4) رياح: نسبة إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، ابن حزم، المصدر السابق، ص273؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص170 .
- (I5) ابن خلدون، العبر، ج6، ص170 .
- (I6) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص294 .
- (I7) لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبدالله بن سعيد السلماي (ت776هـ)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام، تحقيق احمد مختار العبادي، دار الكتب، الدار البيضاء (د.ت)، ص71 .
- (I8) ابن خلدون، العبر، ج6، ص171 .
- (I9) عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت2007م، ج8، ص85 .
- (20) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص124 .
- (21) ابن صاحب الصلاة عبد الملك بن محمد (ت594هـ)، المن بالإمامة، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت1964م، ص144 .
- (22) احمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي، معجم البلدان من كتاب الاعلاق النفيسة، تحقيق دي غويه ليدن 1892م ص275؛ أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، الجزائر1857م، ص76؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص170؛ زانباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، طبعة ليدن 1892، ص275 .
- (23) البكري، المصدر السابق، ص75؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص171 .
- (24) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص171 .
- (25) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص171 .
- (26) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص176 .
- (27) ابن خلدون، العبر، ج6، ص171؛ وينظر الدقي وآخرون، تاريخ بنزرت، منشورات مدينة بنزرت وجويليه، 2002م، ص1 و63 .
- (28) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص171 .
- (29) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص171 .
- المهدية: مدينة افريقية تقع على البحر المتوسط من جهاتها الثلاثة أما من جهتها الغربية البرية فيوجد بها ربض كبير يسمى ربض زويلة، البكري، المغرب، ص29؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الكويت1985م، ص117 .
- (30) ابن خلدون، العبر، ج6، ص171 .

- (31) احمد بن عمر بن أبي الضياف (ت808هـ)، الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق ونشر كتاب الدولة للشؤون الثقافية (د.ت)، ص148.
- (32) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172؛ ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان، ص148.
- (33) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص315.
- (34) الدقي وآخرون، تاريخ بنزرت، منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت، جويليه 2002م، ص63.
- (35) بن حماد حمادي، بنزرت عبر العصور، شركة فنون الرسم والنشر والصحاف، تونس 1979م، ص528.
- (36) الوسلاني محمد صالح، بنزرت، من خلال التزاوج الحضاري التونسي الأندلسي، تونس 1996م، ص6.
- (37) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص125.
- (38) البكري، المغرب، ص58.
- (39) البكري، المصدر السابق، ص58.
- (40) الدقي وآخرون، بنزرت عبر العصور، ص65.
- (41) البكري، المغرب، ص79.
- (42) ابن خلدون، العبر، ج6، ص171.
- (43) البكري، المغرب، ص80.
- (44) ابن خلدون، العبر، ج6، ص170.
- (45) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص171.
- (46) بنزرت: مدينة ساحلية على البحر المتوسط تبعد عن تونس 7 كلم وبها آثار للأول، مجهول، الاستبصار، ص135.
- (47) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172.
- (48) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص115.
- (49) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172.
- (50) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص215.
- (51) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172.
- (52) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص215.

- (53) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172 .
- (54) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص172 .
- (55) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص172 .
- (56) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172 .
- (57) الدقي وآخرون، بنزرت عبر العصور، ص33 .
- (58) البكري، المغرب، ص57 .
- (59) الدقي وآخرون، بنزرت عبر العصور، ص57 .
- (60) ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت1957م، ص75 .
- (61) المغرب، ص57-58 .
- (62) الإدريسي، نزهت المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، عالم الكتب بيروت1989م، ص29-32 .
- (63) ابن خلدون، العبر، ج1، ص193 .
- (64) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص315؛ ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان، ص148 .
- (65) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص316 .
- (66) ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان، ص148 .
- (67) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص316 .
- (68) ابن خلدون، العبر، ج6، ص172 .

أحلام صالح وهب : إمارة بني الورد اللخمي في بنزرت بتونس ...

---